المبحث الثالث

جمالية الرجل الأندلسي

قد يكون من السهل التعرف على مواطن الجمال في الطبيعة، ومع حديثنا عن مقاييس الجمال البشري فلا يمكننا أن نأمن الزلل، ومهما اختلفت المعايير التي نقيس بها الجمال، فإنّ هذا الاختلاف لا يؤثر إلا قليلاً في بصيرة النفس التي تعرف من الجمال أصوله وتنجذب إليه بقوة الغريزة، لكن مقياس الجمال المتعلق بالرجل هو نفسه المقياس القديم ما يزال معمولاً به حتى الآن، فالرجل القوي الذشيط المتين البذيان، المتناسب الأعضاء هو المثل الأعلى منذ القدم(١).

فقد كان مثال الجمال في إسبرطة وأثينا هو الشباب الممتلئ بالرجولة، فهو يجمع بين الجمال والشجاعة. لكن المرأة هي منبع الجمال ومعياره، وهي تسلم بحكم الرجل عليها، والمرأة لا تنجذب للجمال في الرجل، بل تنجذب نحو القوة والقدرة على تذليل الصعاب، وهي من صفات الرجولة(٢).

وجمال الرجل على قسمين: جمال جسمي وجمال روحي، الأول منهما يمثل صورته وهيئته الخارجية، وأما الثاني فهي الشمائل والصفات التي تكوّن شخصيته.

وهناك فرق بين الجمال والملاحة عند الرجل، فالأول لا يجوز إلا في رجل معتدل القوام، متناسب التقاسيم، وفيه مع ذلك شيء من الفتنة، وأما الأخرى (الملاحة) فتتوافر حتى في الرجل القبيح الوجه ما دام خفيف الروح رشيق الحركة، وهناك حوار بين رجل وزوجه التي قالت له: ما أجملك! فردّ عليها أنه لا يملك عمود الجمال، ولا رداءه ولا برنسه، فقالت له: وما هو؟ قال: أما عموده فطول القامة وفيَّ قِصَر، وأما رداؤُهُ فالبياض، ولستُ بأبيض، وأما برنسُهُ فسواد الشعر وأنا أصلع. ولكن لو قلتِ: ما أحلاك! وما أملحَك!

(١) ينظر: ألوان من الجمال والغزل: ١٣٥.

(٢) ينظر: م. ن: ٦٤-٦٥.

لكان أولى. إذن فالرجل يعوض عن دمامة الخَلق بدماثة الخُلُق، والملاحة أوسع من الحُسن والجمال؛ لأنها تكون في كل شيء إن اشتمل عليها(١).

وهذا الموضوع سنعرضه من خلال رؤية المرأة لشريكها في الوجود، فالمرأة الأندلسية الشاعرة كانت لها نظرتها الخاصة نحو الرجل، وربما تكون أصدق من نظرة الرجل إليها؛ لأن المرأة تتحدث بعاطفة أكبر وتنساق وراءها، لهذا نرى الرجل وغرائزه ـ المادية والمعنوية ـ هي أكثر تحكمًا به. والمرأة تتمسك بجمال الروح قبل جمال الجسد، عكس الرجل الذي يتمسك بجمال الجسد قبل الروح، لهذا كانت المرأة وما تقوله في الرجل أقرب مما يقوله الرجل إلى الصدق الفني.

وقد شاركت المرأة الأندلسية في ميادين الأدب المختلفة ولا سيما الشعر، فهي تتغزل بالرجل وتمدحه وتفخر به في ظل أنوثتها، وتهجوه ولا تتورع من ترديد الألفاظ البذيئة بحقه؛ لأن الشاعرة الأندلسية كانت تتمتع بالكثير من الحرية والجرأة، كذلك سجلت بحقه أشعارًا رقيقة في الشكوى والرثاء والحنين والتهنئة وغيرها، بهذا شاركته إبداعه، وأثبتت قدرتها على الخلق الجميل والإبداع الخالد(٢).

وقيل لأعرابي: ما جمال الرجل؟ قال: طول الجسم، وضخم الهامة، ورحب الشدق وبُعد الصوت(٣). ونسي صدقه وأخلاقه وشجاعته وغيرها، إذ ركّز على جمال الرجل الجسمية، لكن توهج هذا الجمال يكون بجمال الروح بأفعاله وشمائله.

والجمال عند الرجل يكون بحسن منطقه وبلاغة لسانه، وليس في شكله الخارجي أو حتى في فعله، إنْ لم يؤطّر هذينِ بقولٍ جميل وبلاغة رائعة، فهذا الرسول ﷺ يقول: (الجمال في الرجل اللسان)(٤)، وفسّر قوله هذا بحديث آخر يقول فيه: (الجمال صواب القول بالحق، والكمال حسن الفعال بالصدق)(٥)، لهذا نرى الرسول ﷺ يحذر من النطق

(١) ينظر: البيان والتبيين: ٣٤٠/١.

(٢) ينظر: الشعر النسوي في الأندلس، محمد بن المنتصر الريسوني: ٢٣-٢٤.

(٣) ينظر: جمال المرأة عند العرب: ١٠.

(٤) كنز العمال في سُنن الأقوال والأفعال: ١٠/٣.

(٥) م. ن: ٣٤٤/٣.

بالسوء حينما قال: (إيّاك وما يسوء الأذن)[1]، فهذه كلها من مظاهر جمال الرجل، فبلاغة خطابه وقوة حجته هي التي ترفع من شأنه بين الناس ولا سيما عند المرأة.

وأما أهم الأغراض التي تناولتها الشاعرة الأندلسية وأعطت من خلالها صورة الرجل المثال فهي كثيرة سنتناولها تباعًا.

فالمرأة تحب وتتشوق للقاء الحبيب، فإذا كانت شاعرة عبرت عن هذه العاطفة بأجمل القصائد، بثّت فيها لوعتها على استحياء؛ لأن العرب لم تكن تعطي للمرأة حريتها في ذلك، كما هي الحال مع الرجل، إلا أنّ الشاعرة الأندلسية عبرت عن عشقها وتشوقها، وما تعانيه من ألم الفراق ولوعته، فتغزلت بمحبوبها وعبرت عن تجاربها العاطفية، متجاوزة بذلك ما هو متعارف عليه في المشرق من الكتم والتضييق على قول الشعر من جانب المرأة ولا سيما إظهار عشقها للرجل.

فالشاعرة الأندلسية رسمت بعشقها جمال محبوبها الذي تعشقه، وأغدقت بروحها الجميلة وبأنفاسها العطرة عليه عطايا شعرها، فكان الرجل المدلل عندها، فتحنو عليه حنوَّ الأم على ولدها، فهذه أم العلاء بنت يوسف الحجارية (ق٥ هـ)[2] تنثر رقيق شعرها على حبيبها الذي به يمسي الزمن جميلاً رقيقًا، فمن دون هذا الحبيب لا يكون هناك طعم للحياة، تقول:

كُلُّ ما يَصْدُرُ مِنْكُمْ حَسَنُ ... وبُعلْيَاكُمُ يُحلي الزَّمَنُ
تَعْطفُ العَيْنُ عَلَى مَنْظَرِكُمْ ... وبِذَاكِرِكُمْ تَلَذُّ الأُذُنُ
مَنْ يَعِشْ دُونَكُمُ في عُمُرِهِ ... فَهْوَ في نَيْلِ الأَمَاني يُغْبَنُ[3]

إننا نلمس رقةً وجمالاً في هذه الأبيات التي هي مديح صادق لحبيبها الذي كل ما يصدر منه حسن، وذكراه جميلة، وفي بُعدِهِ غبن.

---

(١) مسند أحمد بن حنبل: ٧٦/٤.

(٢) أم العلاء بنت يوسف بن حرز المجلس الحجارية نسبة إلى وادي الحجارة في شمالي الأندلس، وأُطلق عليها لقب (البربرية)، وذُكر أنّ لها قصائد وموشحات. ينظر: المغرب في حلى المغرب: ٣٨/٢، نفح الطيب: ١٦٩/٤، نزهة الجلساء: ٢٢.

(٣) شعر المرأة الأندلسية (رسالة ماجستير): ١١٩.

وهذه أميرة المرية أم الكرام بنت المعتصم بن صُمادح (ق٥ هـ)[١]، تجاهر بحبها وتصرخ بلوعتها عليه، فهي تنادي على الناس تطلب إليهم أن يعجبوا معها بما سببه الحب من لوعة، ولعل قلوب الأميرات أقل تحمّلاً وأرق رهافة من قلوب غيرهنّ من النساء، وتتغزل في فتاها بمعانٍ وصيغ صريحة في إعلان العشق، ناسية كل معنى لكبرياء المرأة فلا كبرياء مع الحب أو بين المتحابين[٢]، تقول:

يَـــا مَعْشَـــرَ النَّـــاسِ ألا فَـــاعْجَبُوا ... مِمَّـــا جَنَتْـــهُ لَوْعَـــةُ الحُـــبِّ
لَـــوْلاهُ لَـــمْ يَنْـــزِلْ بِبَـــدْرِ الـــدُّجَى ... مِـــنْ أُفْقِـــهِ العُلْـــوِيِّ لِلتُّـــرَبِ
حَسْـــبِي بِمَـــنْ أَهْـــوَاهُ لَـــوْ أَنَّـــهُ ... فَـــارَقَنِي تَابَعَـــهُ قَلْبِـــي[٣]

فحبها قد استولى على نفسها وتربع في أحشائها وسكن مهجتها، حتى إنها تمنت لو أنها تظفر بخلوة معه بعيدًا عن أعين الرقباء، تقول:

أَلا لَيْـتَ شِـعْرِي هَـلْ سَـبِيلٌ لِخَلْـوَةٍ ... يُنَـزَّهُ عَنْهَـا سَـمْعُ كُـلِّ مُرَاقِـبِ
وَيَـا عَجَبًـا أَشْـتَاقُ خَلْـوَةَ مَـنْ غَـدَا ... وَمَثْـوَاهُ مَـا بَـيْنَ الحَشَـا وَالتَّرَائِـبِ[٤]

لم تكتف الشاعرة الأندلسية بإظهار حبها وإعلانه، بل أعطت صفاتها الأنثوية للرجل، ولعل من طريف ما أنشأت حفصة بنت حمدون الحجارية (ق٤ هـ)[٥] «في مقام الغزل إظهار شخصيتها كامرأة وإبداء الدلال والتيه على من يدل عليها أو يتيه متمسكة كل التمسك بكبرياء المرأة ذات الجمال»[٦]، تقول:

---

(١) أم الكرام بنت المعتصم بالله بن يحيى محمد بن معن بن صمادح التجيبي، شاعرة أندلسية من بيت ملكي إذ كان أبوها ملك المرية، امتازت بالذكاء والفطنة، ونظمت الشعر والموشحات. ينظر: المغرب في حلى المغرب: ٢٠٢/٢، نفح الطيب: ١٧٠/٤، نزهة الجلساء: ٢٠.

(٢) ينظر: الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه: ١٤٨.

(٣) شعر المرأة الأندلسية (رسالة ماجستير): ١٢٦.

(٤) م. ن: ١٢٦.

(٥) حفصة بنت حمدون، شاعرة وأديبة نشأت في وادي الحجارة بالأندلس، وهي من المائة الرابعة، وتعد رائدة من رواد شعر الغزل في عصرها. ينظر: التكملة لكتاب الصلة: ٢٤٨/٤، المغرب في حلى المغرب: ٣٧/٢، نزهة الجلساء: ٤٦.

(٦) الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه: ١٣٧.

لـــي حَبِيـــبٌ لا يَنْثَنِـــي لِعِتَـــابِ وإذا مَـــا تَرَكْتُـــهُ زَادَ تِيهَـــا
قـالَ لـي هَـلْ رَأَيْـتِ لـي مِـنْ شَـبِيهٍ قُلْـتُ أَيْضًـا وهَـلْ تَـرَى لـي شَـبِيها[1]

وأما الشاعرة نزهون بنت القلاعي (ت ق٥هـ)[2] فتقول:

للهِ درُّ الليـــالي مـــا أحيسِـــنَها ومـــا أحيسِـــنَ منهـــا ليلـــة الأحَـــدِ
لـو كنـتَ حاضـرنا فيهـا وقـد غَفَلَـتْ عـينُ الرقيـبِ فلـم تنظـر إلـى أحَـدِ
أبصرتُ شمسَ الضحى في ساعدي قمر بـل ريـم خازمـة فـي سـاعدي أسـدِ[3]

فالشاعرة تعيش في أفضل ليالي عمرها (الأحد) لأنّ الرقيب غافل عنها، وأنها أبصرت جمال حبيبها، فتصف قوة هذا الرجل وجماله المنير، اللذين هما كالأسد والقمر، أما رقتها وجمالها فلا يخفى على أحد جمال الشمس وضوؤها ضحًى، فاجتمعت عندها صفات وملامح الجمال الرجولي المتكامل، فهو جميل الوجه رقيق المشاعر قوي الشكيمة، وهي في حاجة لهذه الصفات الجمالية كلها؛ لكي تشبع حاجتها النفسية والجسدية.

ومن هنا فقد رسمت الشاعرة الأندلسية في ضوء ما تقدم بعض ملامح الرجل الذي تحب وتعشق، من خلال تغزلها به وما تعانيه من ألم الفراق أو ألم اللقاء، اللقاء الذي لم يترك الواشون من لذته شيئًا، وبغزلها هذا عكست المرأة سلوكها مع الرجل وما يغريها فيه من صفاته الروحية والمادية، لكن «جمال الجسد قلما تذكره وهي إن أحسته لا تسجله»[4]؛ لأنّ المرأة لم تكن بحاجة إلى جمال الرجل الجسدي فقط، لأنّ الرجل يجتذبها برجولته وشهامته، وهذا يجمله ما يحمله من سمات جمالية جسمية تزين هذه الخلال الحميدة.

(١) شعر المرأة الأندلسية (رسالة ماجستير): ٩١.
(٢) نزهة بنت القلاعي، من أهل غرناطة، شاعرة ماجنة كثيرة النوادر. ينظر: بغية الملتمس: ٧٣٢/٢، التكملة لكتاب الصلة: ٢٥٨/٤، المغرب في حلى المغرب: ١٢١/٢.
(٣) شعر المرأة الأندلسية (رسالة ماجستير): ١٣٢.
(٤) صورة الرجل في شعر الشواعر الأندلسيات (رسالة ماجستير): ٢٢.

إنّ الجمال الجسدي غير ثابت، فكلما تقدم العمر يفقد الإنسان ملامح الجمال المادي، أما الجمال الروحي فهو ثابت يبقى مع بقاء الإنسان، بل يفوح بعد الممات، و هو ما اختص به الرجل العربي(١).

وأرادت المرأة الأندلسية من خلال المديح أن تصل إلى تكوين صورة مثالية للرجل، لتحقق من وراء ذلك ما تطمح إليه كشاعرة أو امرأة، فهذه حفصة بنت حمدون الحجارية (ق٤هـ) تمدح رجلاً يدعى (ابن جميل) وتضفي عليه صفات جمالية وأخلاقية، فتصفه بالجود والكرم وحسن الخُلُق والخَلق، ويبدو أنها كانت تتغزل به، وذلك من خلال تركيزها على وصف جماله، وتسيطر على أبياتها عاطفة هادئة معجبة(٢)، تقول:

رأى ابن جميل أن يرى الدهرَ مجملا ... فكلُّ الورى قد عَمَّهم سيبُ نعمتِه
له خُلُقٌ كالخمرِ بعد امتزاجِها ... وحسنٌ فما أحلاه من حينِ خلقتِه
بوجهٍ كمثلِ الشمسِ يدعو ببِشرِهِ ... عيونًا ويُعشيها بإفراطِ هيبتِه(٣)

وكانت الشاعرة الأندلسية تنتهز الفرص كي تبرز موهبتها الشعرية وتنال الثناء والعطاء، فهذه عائشة بنت أحمد القرطبية (ت٤٠٠هـ)(٤) تدخل على المظفر بن المنصور بن أبي عامر وبين يديه ابنٌ له فتمدحه بقصيدة تتضمن ذكرًا لما عرف عنه وعن قومه من حكمة وشجاعة، تقول:

أراكَ اللهُ فيه ما تريدُ ... ولا برحتْ معاليهِ تزيدُ
فقد دلّتْ مخايلُهُ على ما ... تؤمّلُهُ وطالعهُ السعيدُ
تشوقت الجياد له وهز ... حسام هوى وأشرقت البنود
فسوف تراه بدرًا في سماءٍ ... من العليا كواكبُهُ الجنودُ
وكيف يخيبُ شبلٌ قد نمتْه ... إلى العليا ضراغمةٌ أسودُ
فأنتم آل عامر خيرُ آلٍ ... زكا الأبناءُ منكم والجدودُ
وليدُكُم لدى رأيٍ كشيخٍ ... وشيخُكُم لدى حربٍ وليدُ(٥)

(١) ينظر: القيم الجمالية في شعر الأخطل (رسالة ماجستير): ٧٧، ٨٢.
(٢) ينظر: الشعر النسوي الأندلسي أغراضه وخصائصه الفنية: ٥٢.
(٣) شعر المرأة الأندلسية (رسالة ماجستير): ٩٠.
(٤) عائشة بنت أحمد بن قادم، شاعرة وأديبة من أهل قرطبة، امتازت بالفصاحة والبلاغة، وقد عزفت عن مخالطة الرجال وامتنعت عن الزواج وماتت وهي عذراء، واشتهرت بحسن الخط. ينظر: نفح الطيب: ٢٩٠/٤، نزهة الجلساء: ٧١.
(٥) شعر المرأة الأندلسية (رسالة ماجستير): ١١٣.

فالشاعرة هنا تختم قولها بمدح المظفر بصفتي العقل ورجاحته، إذ تقول: (وليدكم لدى رأيٍ كشيخٍ)، وأضفت لهذه الصفة الشجاعة والبسالة عندما قالت: (وشيخُكم لدى حربٍ وليدُ)، وهذا الشطر أكمل المعنى الأول لكيلا يحسب أن رجاحة العقل جبنٌ وتخاذل بل هي حكمة وحنكة، فحتى الشيوخ عند القتال تعود شبابًا لبسالتهم وقوتهم. وتعد الشجاعة من الصفات البارزة التي تكثر في غرض المدح، وقد وجدتها الشاعرة في ابن المظفر الذي تنبأت له بمستقبل مشرق يحقق أمل والده وما يتطلع إليه في قولها:

فقد دلّتْ مخايلُهُ على ما تؤمّلُهُ وطالعُهُ السعيدُ

وفي هذا وصف دقيق لهذا الصغير الذي يبشر بعلامات البسالة الظاهرة عليه، لذلك اشتاقت الجياد لأن يمتطيها، واهتزت السيوف لأن يشهرها في وجه أعدائه، وتلك شجاعة متأصلة في بني عامر(١)، وهي من جماليات الرجل، وأما قولها:

وكيف يخيبُ شبلٌ قد نمتْه إلى العليا ضراغمةٌ أسودُ

فهو من القيم الجمالية التي ذكرتها الشاعرة أيضًا للرجل وهو شرف النسب، فالعربي يفتخر بنسبه في كل حين، وبهذا مدحت آل عامر بقولها:

فأنتم آلَ عامرٍ خيرُ آلٍ زكا الأبناء منكم والجدودُ

وهذه مريم بنت أبي يعقوب الأنصاري (ق٥ هـ)(٢) يبعث لها الأمير عبيد الله بن محمد المهدي الأموي أبيات شعر مع مال، فتجيبه بقصيدة تمدح ما أرسله وما أعطاها، ذاكرةً الأخلاق وصفاته الرجولية ونسبه العالي وشجاعته، فهي تردّ جميله بأجمل منه، فقد خلدت ذكره من خلال وصفه وإبراز سماته الجمالية، تقول:

مَن ذا يجاريك في قولٍ وفي عملِ وقد بدرت إلى فضلٍ ولم تُسَلِ
ما لي بشكرِ الذي نظّمتَ في عُنُقي من اللآلي وما أوليتَ من قبلي
حليتَني بحُلَى أصبحتُ زاهيةً بها على كلُّ أنثى من حُلى عُطُلِ
لله أخلاقُكَ الغرُّ التي سُقِيتْ ماءَ الفراتِ فرقّتْ رِقةَ الغزلِ

(١) ينظر: الرؤية الذاتية في شعر المرأة الأندلسية، (رسالة ماجستير): ١٤٤-١٤٥.

(٢) مريم بنت أبي يعقوب الشلبي، وتسمى مريم الشلبية نسبة إلى شلب، وهي أديبة شاعرة مشهورة، وكانت تعلّم النساء الأدب، واشتهرت بعد الأربعمائة. ينظر: جذوة المقتبس: ٦٥٠/٢، وبغية الملتمس: ٧٢٩/٢، ونفح الطيب: ٢٩١/٤.

أشبهتَ مروان من غارتْ بدائعُهُ ... وأنجدتْ وغدتْ من أحسنِ المُثَلِ
مَن كان والدُهُ العضبَ المهندَ لم ... يلدْ من النسلِ غيرَ الأبيضِ والأسَلِ[1]

في ضوء ما تقدم من النماذج التي تخص المديح يمكنني القول إنّ الشاعرة الأندلسية أبرزت من خلال سردها لصفات الرجل الأخلاقية وشجاعته وجوده وحسن شكله بإعطاء الأنموذج الأعلى للرجل الذي تمدح، إذ تحكم على ممدوحها أنه مالك لهذه الصفات وتكون أبلغ من غيرها؛ لأن كلام المرأة مسموع في كل حين، وتكون حجتها دامغة في كثير من الأحايين؛ لأن هذا الأمر يصدر من مختلف مغاير لجنس الممدوح، فالرجل يحس بنشوة حين يُمدح، فما بالك إن كان من يمدحه شاعرة، وتذكر قيمه الجمالية والرجولية.

وأمّا إذا غضبت المرأة فتُخرج لهيبها نحو الرجل؛ لأنه سبب في إشعال غضبها، فتهجوه وتنزله أسفل منزلة، صدقًا كان أم هزلاً، مع أنّ الهجاء متأخر وقليل في الأندلس.

ومن خلال الاعتذار والعتاب أرادت الشاعرة الأندلسية أن تحافظ على مكانتها لدى الرجال ومحافلهم، وتعطي لمن تعتذر صورة المذقذ الواهب لها الحياة من جديد، فهو الجواد صاحب المروءة الذي يعفو عن المسيء ويقابل الإساءة بالكرم والعفو، إذ ترسم للرجل من خلال هذه الصفات الحميدة صورته الجمالية المعنوية الرائعة.

وأما الاعتذار من الحبيب فتمثله أبيات أم العلاء الحجارية التي تصور فيها الرجل الكريم في أخلاقه وهي تطلب عفوه بكل نعومة إحساس، ومن خلال ذكر هذا الرجل ووصفه بـ (كرم الأخلاق) تحدد جماليته وتبرزها لنا بهذا الشكل الجميل من خلال اعتذارها له عما بدر منها، فهي تقول:

افهمْ مطارحَ أحوالي وما حكمتْ ... بهِ الشواهدُ واعذرْني ولا تَلُمِ
ولا تَكِلْني إلى عذرٍ أبيّنُهُ ... شر المعاذير ما يحتاجُ للكَلِمِ
وكلُّ ما جئتُهُ من زلةٍ فبما ... أصبحتُ في ثقةٍ من ذلك الكرَمِ[2]

(١) شعر المرأة الأندلسية (رسالة ماجستير): ١٢٧. العضب: القطع، أو السيف القاطع. لسان العرب: مادة (ضب). الأبيض: السيف. لسان العرب: مادة (بيض). الأسل: الرماح. لسان العرب: مادة (أسل).

(٢) شعر المرأة الأندلسية (رسالة ماجستير): ١١٩.

وأما عتاب المرأة لابن عمها تحديدًا فهو شيء آخر، ووجه تبرز من خلاله المرأة الشاعرة مدى تعلقها وحبها لهذا الرجل، فهذه زينب المرية (ت ق٥ هـ)[١] ترسم لنا من خلال العتاب معاناتها في حبها، وكيف أعجز ذلك أهلها، ولم تذكر لنا صفة لهذا الرجل لكن من خلال هذا الشوق والعتاب والحالة التي وصلت إليها الشاعرة، نعلم إصراره على موقفه منها، تقول:

ألـم تـرَ أهلـي يـا مغيـرُ كأنّمـا ... يفيـؤونَ باللومـاء فيـكَ الغنائمـا
ولـو أنّ أهلـي يعلمـونَ تميمـةً ... مـنَ الحـبِّ تُشـفي قلـدوني التمائمـا[٢]

إنّ العتاب أو الشكوى عند الشاعرة الأندلسية نابع من شعور بالحاجة للغير الذي تعاتبه أو تبثه شكواها، فهي حين تعاتب الحبيب تريد أن تشعره بهذه الحاجة التي لم تعد تقوى عليه، حتى دعتها إلى الإفصاح على الرغم من القيود الاجتماعية. وأما في شكواها فهي تبرز ضعفها وقلة الحيلة، وهنا تُبرز قوة الرجل وكرمه ومكانته، وهي الصفات التي تحبها فيه ولا تستغني عنها في أي وقت.

فهذه زينب المرية تعود وتعرض لنا صفحة أخرى من شعرها ألا وهو حنينها للأحبة، متمثلة بحنينها لزوجها الذي يفارقها بموته، تقول:

أمِـن رسـمِ دارٍ بـالخريفِ تبـادرت ... دموعُـكَ ذكـرى سـالف قـد تجرّمـا
وقـد مـرَّ حبـلُ الحـيِّ إلا معـذرًا ... علينـا شـجاهُ شـجونًا فتلوّمـا
يضـيء خصـاصَ البيـتِ والسـترُ دونَـهُ ... لنـا غـربٌ نابليـه إذا مـا تبسَّـما[٣]

فالمرأة عندما تجد في الرجل القيم الجمالية (الروحية والمادية) بشكل متكامل تكون لوحته أجمل في عينها، فهي تميل إلى الرجل الذي يحوي هذه الصفات كلها، ومع أنه لم يصل إلينا إلا الشيء القليل من الشعر النسوي في الأندلس، الذي لا يمكن أن نبني عليه آراءً قاطعة، إلا أننا نتوصل من خلال اطلاعنا على ما بين أيدينا إلى أنّ المرأة الأندلسية كانت رقيقة المشاعر وصاحبة موقف حازم في الحب والكره، وحاولت إثبات نفسها من

(١) زينب المرية، زينب بنت فروة المرية، أديبة وشاعرة من شواعر الأندلس، ذات حسن وجمال وبهاء وأدب وظرف، رقيقة المعاني جزلة الألفاظ. ينظر: نفح الطيب: ٢٨٦/٤.

(٢) شعر المرأة الأندلسية (رسالة ماجستير): ١٠٨.

(٣) م. ن: ١٠٩.

خلال شعرها، فخاضت ميادينه وشاركت الرجل في الأغراض كلها، فأبدعت وصورت حياتها الاجتماعية أفضل تصوير، ورسمت للرجل صورته الجمالية التي تتمنى أن يصل إليها، فهو الشجاع الذي لا يهاب الإقدام، الكريم الذي لا حدود لكرمه، الرقيق الذي يعطيها ما تستحق من مشاعره الصادقة، وهو الرجل الذي يتذكرها حين ينساها الناس جميعًا فهو رفيق دربها وهو نصفها الثاني المكمل لها في الحياة والمشاعر والعواطف.